تحصين الأسرة المسلمة في العصر الرقمي: رؤية نفسية تربوية للوالدية الإيجابية

ا.د صالحي حنيفة

الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية دور الوالدية الإيجابية كمنهج تربوي فعّال في حماية الأسرة المسلمة من التأثيرات السلبية للعالم الرقمي وتحديدا تأثيرات وسائل التواصل الاجتماعي. بحيث تظهر التصور المزدوج للوالدية الإيجابية كمقاربة تربوية حديثة تقوم على التواصل والاحترام والتعزيز الإيجابي، والوالدية الصالحة كامتداد أصيل مستمد من القيم الإسلامية، تُركّز على تنشئة الأبناء تنشئة دينية وأخلاقية متوازنة.

كما توضح هذه الورقة كيف تُسهم هذه الكفاءات الوالدية في تحصين الأبناء من مخاطر الفضاء الرقمي من خلال مهارات الإصغاء، وتعزيز السلوك الإيجابي، ومرافقة الأبناء رقميًا، وغرس القيم الإيمانية والأخلاقية التي تمنح الطفل قدرة ذاتية على التمييز والاختيار السليم. كما نشير إلى أهمية العناية بالوالدين أنفسهم، نفسيًا وتربويًا، باعتبار ذلك شرطًا أساسيًا لممارسة أدوارهم التربوية بوعي وثبات. وفي النهاية نؤكد على أن هذه المقاربات ليست مجرد أساليب تربوية، بل هي مسؤولية شرعية من الواجب الالتزام بها.

الكلمات المفتاحية: الأسرة المسلمة، الوالدية الإيجابية والصالحة،العصر الرقمي، تأثير وسائل التواصل الاجتماعي.

ABSTRACT :

This research paper explores the role of positive parenting as an effective educational approach in protecting the Muslim family from the negative impacts of the digital world, particularly the influence of social media. It highlights the dual perspective of positive parenting as a modern pedagogical approach based on communication, respect, and positive reinforcement, and righteous parenting as a deeply rooted concept derived from Islamic values, focusing on the religious and ethical upbringing of children in a balanced manner.

The paper further illustrates how these parental competencies contribute to shielding children from the risks of the digital space through active listening, encouraging positive behavior, digital supervision, and instilling faith-based and moral values that empower the child with discernment and responsible decision-making. It also emphasizes the importance of parents' own psychological and educational well-being, considering it a foundational requirement for fulfilling their parenting roles with awareness and consistency. Ultimately, the paper asserts that these approaches are not merely educational techniques but rather a religious and moral responsibility that must be upheld.

Keywords: Muslim family, positive and righteous parenting, digital age, impact of social media.

المقدمة:

في عالم يتسم بالتغير السريع والتحديات المتزايدة، أصبحت المجتمعات الإنسانية عرضة للعديد من الاهتزازات والاضطرابات تعكس لأي درجة تمس هذه التغيرات البنيات التحتية لهذه المجتمعات على اختلاف انتماءاتها وإيديولوجياتها وثقافاتها. ولعلّ أول مؤسسة يطالها هذا التهديد المستمر هي الأسرة على اعتبار أنها المكوّن المؤسساتي والاجتماعي الأول لأي مجتمع، وعلى اعتبار أنها مدعوة في كل مرة للانخراط في كل تيارات التغيير والتطور. وإن كانت الأسرة في المجتمعات الغربية تأخذ أشكالا مختلفة ومتعددة فإنها في المجتمعات العربية الإسلامية لها شكل موحّد حتى ولو اختلفت مكوّناتها وظروف بنائها. وهي كذلك

تعرف هذا الكم الكبير من التغيرات والتحديات وتقوم بمواجهتها بطريقتها وبأسلوبها، أحيانا تنجح في بعض التحديات وفي أحايين كثيرة تجد نفسها عاجزة عن المواجهة وعن مواكبة كل ما يحدث فتزيد معاناتها وشعورها بالضعف والعجز. تؤدي هذه الأوضاع بالضرورة إلى ضعف تماسكها وتراجع أدائها.

وإن تعددت مصادر هذه التغيرات فإن الملفت فيها أن ما يبدو أحيانا عامل تطور وتقدم يكون في حقيقة الأمر خطرا محدقا إما لجهل طريقة التعامل معه بالطريقة الصحيحة، أو لأن الاستعداد والكفاءة المطلوبة للاستفادة منه واستعماله بالطريقة المثلى غير متوفرة في الأسرة. وهو ما ينطبق بدرجة كبيرة على التطور الرقمي والتكنلوجي الذي طغى على كل مجالات الحياة وأصبح واقعا لا مناص منه، وأصبحت الأسرة المسلمة تواجهه كطوفان جارف يأخذ في سريانه مقومات هذه الأسرة وخصائصها القيمية التي تهاوت أمام كل المباحات والمتاحات الواردة مع هذا التطور الرقمي. حيث أضحى الأبناء عرضة للكثير من الاضطرابات النفسية والسلوكية وحتى أنواع الشذوذ والانحرافات الأخلاقية لتراجع السلطة الوالدية وضعف التواصل البنّاء داخل الأسرة وبين أفرادها سواء كانوا راشدين أو مراهقين أو أطفال. ولكن مع هذا يؤكد المختصون أن اتباع أساليب تربوية تجمع بين الصرامة والليونة، بين التوجيه المحدّد وفتح مجال الاختيار والإقناع من شأنه أن يخلق التوازن المطلوب في المعاملات الوالدية مع الإبقاء على روح المواكبة للعصرنة ومتطلباتها. وهنا تُطرح الوالدية الإيجابية كفلسفة تربية حديثة – لكنها مستمدة أساسا من التوجيهات التربوية الإسلامية-بإمكانها أن تحدث هذا التوازن المطلوب.

I- العالم المتغير، العالم الرقمي:

لقد أدى التطور المتسارع في وسائل الاتصال والتواصل إلى إحداث تحولات جذرية في بنية المجتمعات الإنسانية، حتى غدت الكرة الأرضية أشبه بقرية كونية متشابكة الأطراف، بلا حدود فاصلة أو حواجز تقليدية. فلم يعد الزمان ولا المكان يشكّلان عائقاً أمام تدفق المعلومات وتبادلها، إذ كسرت الأقمار الصناعية الحدود الجغرافية والسياسية، واخترقت العادات والتقاليد بأساليب ناعمة لكنها عميقة الأثر. ومع بزوغ ثورة المعلومات حلّت الوسائل الرقمية محل الأدوات التقليدية: فالصحف الإلكترونية تجاوزت الورقية، والبريد الإلكتروني اختصر الزمن والمسافات، في حين وفّرت الهواتف الذكية، والرسائل الفورية، وغرف الدردشة، ومنصات التواصل الاجتماعي كـ"فيسبوك" و"إنستغرام" بيئة افتراضية بديلة للعلاقات الواقعية.

وفي ظل هذا الزخم الرقمي أصبح الفرد محاطًا بسيل جارف من المعلومات المتنوعة، يلاحقه في كل مكان، سواء احتاج إليها أم لا، وسواء كانت هذه المعلومات ذات قيمة أم مجرد محتوى استهلاكي عابر. ساهم هذا التداخل بين الكم الهائل من البيانات وسرعة تدفقها في إعادة تشكيل الأدوار الاجتماعية وأنماط التواصل داخل الأسرة والمجتمع، مما يستدعي وقفة تأمل ووعي نقدي يقي الأفراد من التشتت والانجراف في معترك المعلومات دون بوصلة تقودهم نحو ما هو نافع وبنّاء خاصة في المجتمعات الإسلامية التي تحتكم لمعايير قيمية ثابتة وواضحة.

يمسّ تأثير وسائل التواصل الاجتماعي جميع جوانب الحياة دون استثناء على غرار التعليم، التجارة، الدين، بالإضافة إلى الحركات الاجتماعية والسياسية وكذلك العلاقات البينشخصية وخاصة الأسرية. ولذا يمكن فعلا أن نقول أن هذه الوسائل أصبحت جزءًا لا يتجزأ من نسيج الحياة اليومية، تؤثر في طريقة تواصل الأفراد و تفكيرهم و تشكيل مواقفهم واتخاذ قراراتهم. وعليه يذهب الكثير من المتابعين والناقدين لتأثير وسائل التواصل الاجتماعي على حياة البشر إلى تشبيه هذه الوسائل بالسكين، فهي أداة ذات حدّين. يمكن استخدامها لتحضير طعام يغذي أجسامنا، كما يمكن استخدامها كسلاح لإيذاء الآخرين. فالأمر في النهاية يعتمد على الطريقة التي نستخدم بها هذه الوسائل.

II- الأسرة المسلمة وتيارات التغييرالرقمي:

يقول الله –عزّ وجلّ- في محكم تنزيله : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اَللَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اَللَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" (1: النساء) من خلال الآية تبرز أهمية بناء الأسرة في الدين الإسلامي و كيف أن تشكيلها وبناءها يرتكز على مفهوم التلاحم و التزاوج بين جسدين خُلقا من

نفس واحدة. ولذا يقّر المختصون أن الأسرة ليست مجرد إطار مادي أو مكان تُلبى فيه الاحتياجات الجسدية والمادية فقط، بل هي كيان معنوي عميق يقوم على السكن والمودة والرحمة.

وتتمثل وظيفتها الأساسية في تربية الأجيال وغرس القيم الإيمانية والمبادئ الدينية. ومن هذا المنطلق أولت الشريعة الإسلامية الأسرة عناية خاصة وأحاطتها بمنظومة متكاملة من الأحكام والضوابط التي تنظّم العلاقة بين الزوجين، وتُحدد مسؤوليات كل منهما وفقاً لخصوصيته وقدراته النفسية والجسدية. وذلك بهدف بناء أسرة قوية، قادرة على تنشئة أجيال صالحة، والمساهمة في نهضة الأمة، وصون كيانها مع الحفاظ على قدرتها على التكيف مع متغيرات العصر ومجابهة تحدياته.

ولا شك أن الأسرة المسلمة، مثلها مثل كل الأسر في المجتمعات الإنسانية المختلفة، أصبحت في مواجهة مباشرة مع تحديات جمة فرضها التطور التقني المتسارع وثورة الاتصالات والمعلومات التي اجتازت الحواجز الجغرافية والثقافية، وجعلت من العالم قرية كونية مترابطة مثلما أشرنا إليه أعلاه. فقد بات الوصول إلى مختلف أنحاء العالم متاحًا بسهولة وبكلفة منخفضة طالما أن الوجود الافتراض ي يختزل المسافات وحتى الأزمنة، ما أدى إلى انفتاح الأسرة على تيارات فكرية وثقافية وقيمية متعددة، بعضها يحمل في طياته مغريات مادية ومعنوية قد تُهدد تماسكها وبناءها القيمي والانتمائي. "إن التطور التقني السريع المتمثل في ثورة المعلومات ووسائل الاتصال المرئية والمسموعة والمقروءة ووصولها إلى كافة شرائح المجتمع والتي وصلت بتغطيتها إلى معظم شرائح المجتمع حمل معه متغيرات اجتماعية وثقافية ذات أبعاد مختلفة تحتاج وبشكل مستمر إلى تقييم لأبعادها وعلى وجه الخصوص الأسرة المسلمة".(العقيلي، الجبور، د.س).

ومن المعلوم أن الاستخدام المرض ي للإنترنت – والذي غالبًا ما يكون ناتجًا أو متفاقمًا بسبب الاستعمال المكثف لشبكات التواصل الاجتماعي – يرتبط بمشاعر الوحدة، والاكتئاب، والقلق، والضيق النفس ي العام. وقد تمّ النظر في "اضطراب إدمان الإنترنت" كحالة قابلة للتصنيف ضمن الاضطرابات النفسية، كما ورد في النسخة الصادرة سنة 2013 من الدليل التشخيص ي والإحصائي للاضطرابات النفسية(DSM) ، مما يعكس القلق المتزايد من التأثير العميق لهذا النوع من السلوك الرقمي على الصحة النفسية للفرد وللجماعات وللأسر.

وفي دراسة أُجريت سنة 2008 من قبل جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس(UCLA) ، تبيّن أن أدمغة مستخدمي الإنترنت تتعرض لتغيرات على مستوى القشرة الجبهية الأمامية، وذلك بسبب الإيقاع السريع للمحتوى الرقمي المتداول على شبكات التواصل. حيث تؤدي هذه السرعة إلى إعادة تشكيل الوصلات العصبية بطرق غير معتادة بعد التعرض المتكرر. (Islamique (de Genève,2022 Centre

وتجدر الإشارة إلى أن القشرة الجبهية الأمامية (le cortex préfrontal) تُعدّ من المناطق الدماغية الأساسية المسؤولة عن تنظيم العواطف، والتحكم في الاندفاعات، واتخاذ القرارات، وهي غالبا الإشكالات التي نجدها مطروحة في الصراعات الأسرية. كما أن لها علاقة وثيقة بظهور اضطرابات المزاج مثل الاكتئاب والقلق وهذا ما قد يظهر على الأولياء وبالتالي سيؤثر حتما على أداء أدوارهم الوالدية، وإن ظهر على الأبناء فإنه يؤثر على صحتهم النفسية والعقلية ويعيق مسارهم الدراس ي كما أنه يؤثر بسلبية كبيرة على علاقاتهم الأسرية والاجتماعية عموما. ومن هنا فإن التغيرات الفيزيولوجية الحاصلة في هذه المنطقة من الجهاز العصبي بسبب الاستخدام المفرط وغير المنظّم للتكنولوجيا قد تفسر بعض الأعراض النفسية والسلوكية الشائعة بين المستخدمين المفرطين لشبكات التواصل وتعكس لأي درجة اختلت الشبكة العلائقية الأسرية والمجتمعية.

وفي المقابل لا يمكن إنكار ما تحمله هذه الطفرة التكنولوجية من جوانب إيجابية توازي في أهميتها الجوانب السلبية، إذ تتيح فرصًا للتعلم والتواصل وتبادل المعرفة، وتسهم – إذا أُحسن توظيفها – في دعم الأدوار التربوية والثقافية للأسرة. ومن هنا تبرز الحاجة إلى وعي نقدي متزن يمكّن الأسرة المسلمة من الاستفادة من إيجابيات التقنية دون أن تنجرف في تياراتها السلبية. ولذا اهتم العاملون في مجال التربية وعلم نفس الأسرة بإيجاد استراتيجيات معاملة والدية تتماش ى مع تحديات هذا العصر

والأحرى بالأسرة المسلمة أن تأخذ من هذه الاستراتيجيات خاصة و أن جلها منبثق بطريقة أو بأخرى من التعاليم السمحة للدين الإسلامي.

III- مفهوم الوالدية الإيجابية:

تُعدّ الوالدية الإيجابية أحد المفاهيم التربوية المعاصرة التي برزت في سياق التحولات الاجتماعية والثقافية العميقة التي مسّت الأسرة، وأعادت تشكيل أدوارها ووظائفها في المجتمعات الحديثة. فهي ليست مجرد طريقة في التنشئة، بل رؤية شاملة تعكس وعياً متزايداً بأهمية العلاقة بين الأولياء وأبنائهم في بناء شخصية الطفل وضمان توازنه النفس ي والاجتماعي.

1- المفهوم: تتشكّل الوالدية، كمفهوم إنساني، في إطار تاريخي واجتماعي وثقافي محدد، وتُبنى على خلفيات أنثروبولوجية وثقافية ينبغي تحليلها وتفكيكها لفهم جذور الممارسات التربوية. ويؤكد عالم الأنثروبولوجيا موريس غودولييه (Maurice Godelier) أن الوالدية، بغض النظر عن شكل الأسرة التي تمارس فيها — تؤدي مجموعة من الوظائف الأساسية، كالرعاية، والتغذية، والحماية، والتربية، ونقل المعايير والمحظورات، بالإضافة إلى ممارسة السلطة وتحمل المسؤولية (Mestre, 1992) .هذه الوظائف تمثل قواسم مشتركة بين جميع الثقافات، لكنها تظل مرهونة بنوعية العلاقة بين الأولياء والأبناء، حيث تشكل هذه العلاقة حجر الأساس الذي يُبنى عليه التماسك الأسري ونجاعة الدور التربوي.

ومن هذا المنطلق لم تعد التربية الأسرية محصورة في تزويد الطفل بالمعارف والضوابط السلوكية منذ ولادته وحتى بلوغه سن الرشد، بل اتسعت لتشمل دعم الأولياء أنفسهم في أداء مهامهم التربوية. وتُوظف هذه التربية في مداخل متعددة، منها ما هو وقائي وتعزيزي كتحضير الأسرة لمواجهة مراحل مفصلية في حياة الطفل، ومنها ما هو علاجي وتوجيهي عبر مرافقة الأولياء الذين يواجهون صعوبات في ممارسة أدوارهم. ومع التطور الذي شهدته المجتمعات الإنسانية أصبح للأسرة دور محوري في مدى نجاعة هذا التحول، إذ تمثل اليوم عاملًا حاسماً في تعزيز الاستقرار الاجتماعي وبناء الهوية الجماعية (Saint- et al., 2012). Jacques

ويُلاحظ في السياق المعاصر إعادة تعريف العلاقة بين الأولياء وأبنائهم، انطلاقاً من التحولات الحقوقية والمعيارية التي ترافقت مع الاعتراف الدولي بحقوق الطفل، والتي أكدت على ضرورة تلبية حاجاته النفسية والعاطفية والمعرفية. وفي المقابل، أُعيد طرح مسألة موارد الوالدين، وحقوقهم، ودورهم في هذه العلاقة، انطلاقاً من أن تمكينهم يُعد شرطاً أساسياً لأداء مهامهم التربوية. ومن هنا بات يُنظر إلى الوالدية على أنها منظومة شبكية مترابطة، تضم الأطفال، الأولياء، مختلف مقدّمي خدمات الدعم والإرشاد، إضافة إلى المؤسسات الحكومية المسؤولة عن ضمان حقوق الطفل وكذلك وسائل الإعلام والاتصال التي أضحت مع الوقت مصادر للتأثير والتوجيه التربوي غير المراقب الذي يتعرض له الأطفال والمراهقون دون وعي كبير من طرفهم أو من طرف من يقومون على تربيتهم. ونلاحظ هنا وكأن وسائل الإعلام والاتصال في الوقت الحالي أصبحت تزاحم وتنافس الأسرة في تربية الأبناء، وما يجلب الانتباه بشكل ملفت هو أن تأثير هذه الوسائل أصبح أكثر شدة وقوة في بلورة شخصياتهم وسلوكياتهم.

2- الخلفية التاريخية: نشأ مفهوم الوالدية الإيجابية كرد فعل تربوي حديث تجاه ممارسات العنف التي سادت في أنماط التنشئة التقليدية، سواء كانت ناتجة عن دوافع مرضية، أو تصورات مشوهة حول التربية، أو كاستجابة يائسة من طرف أولياء لم يكونوا مؤهلين نفسيًا واجتماعيًا لتحمّل مسؤولية الرعاية والتكفل بأطفالهم. وبهذا المعنى ظهرت الوالدية الإيجابية كمقاربة تهدف إلى تحرير الأولياء من النماذج العنيفة التي تعرضوا لها في طفولتهم، والتي غالبًا ما تُعاد إنتاجها بفعل الضغوط الاجتماعية والثقافية. كما تسعى هذه المقاربة إلى حماية الأطفال من تلك الممارسات غير السليمة، ما يجعل من تطبيقها مسؤولية جماعية تتقاسمها الأسرة والمؤسسات والدولة على حدّ سواء.(Mestre, 1992)

في الواقع، يُعدّ الجميع معنيًا بهذا التحدي التربوي، وخاصة الأولياء الذين يجدون أنفسهم تحت وطأة التوقعات الاجتماعية بأن يكونوا "آباء وأمهات جيدين بما يكفي"، في وقت لم يعد فيه الطفل كائنًا خاضعًا بالكامل لسلطة والديه، بل فاعلًا اجتماعياً يمتلك حقوقًا واستقلالية متزايدة. في هذا السياق تثير الوالدية الإيجابية تساؤلات جوهرية حول تمثلاتنا للطفل:

هل هو بطبيعته خيّر أم شرير؟ هل ينبغي أن يكون نسخة عن والديه أم شخصية فريدة مستقلة؟ هل هو في خدمة أسرته ووطنه، أم فرد له أولوياته وحقوقه؟ وهل يمتلك القدرة على النمو والتكيّف في عالم يزداد تعقيداً وتفاوتاً وخطورة يوماً بعد يوم؟

إن طبيعة هذه الأسئلة تسهم بشكل مباشر في تشكيل المقاربات التربوية التي نعتمدها. فالفهم الذي نحمله عن الطفل ينعكس على ممارساتنا اليومية، وعلى الأهداف التي نرسمها لتربيته، ما يجعل من هذا التصور عاملًا حاسمًا في صياغة مستقبل الأفراد والمجتمعات.

وضمن هذا المنظور، تبلور النموذج المثالي للتربية الأسرية الحديثة كعلاقة تشاركية تقوم على التبادل المتوازن بين الطفل ووالديه، خلافًا للنموذج التقليدي الذي يُسند للأولياء دورًا أحادي الجانب في نقل القيم والمعايير. في هذا السياق يصبح الطفل طرفًا فاعلًا في بناء تجربته التربوية، مما يعزز من مرونة العلاقة ويُجنّب الأسرة السقوط في أحد طرفي النقيض: إما السلطوية الصارمة أو الفردانية المتساهلة التي أفرزت ما يُعرف بـ"الأطفال الملوك .(enfants-rois) "وتثير هذه المقاربة التربوية العديد من الإشكاليات، خاصة داخل العلاقة بين الأمهات والآباء، وكذلك بين الأولياء وأبنائهم، بما يعكس عمق التحولات التي شهدها مفهوم الوالدية في ظل التطورات الاجتماعية والثقافية الراهنة.

3-ركائز الوالدية الإيجابية: تُعدّ الوالدية الإيجابية مقاربة تربوية معاصرة تقوم على احترام متبادل بين الأولياء وأطفالهم، وتعتمد أساسًا على بناء تواصل مفتوح وصادق يُراعي مشاعر الطفل ويساهم في تعزيز روابطه العاطفية داخل الأسرة. وتسعى هذه المقاربة إلى توفير بيئة داعمة وآمنة تُعزز النمو النفس ي والاجتماعي للطفل، من خلال الإصغاء الفعّال، وتشجيع التعاون بدلًا من العقاب، والعمل على خلق مناخ أسري متوازن ومتناغم، قادر على احتواء الخلافات دون أن تتحوّل إلى قطيعة أو فجوة تواصل.

لقد شاع استخدام مصطلح "الوالدية" منذ تسعينيات القرن العشرين للدلالة على الدور الاجتماعي للوالد، وعلى طبيعة العلاقة التي تربطه بالطفل بكل ما تحمله من تعقيد وتنوّع .(Dumont & Renard, 2004) ويُنظر إلى هذا الدور اليوم بوصفه "مهنة" تتطلّب اكتساب مهارات وتطبيق تقنيات تربوية محددة، وهو ما تؤكد عليه أدبيات الوالدية الإيجابية من خلال التركيز على ما يُعرف بـ"وظيفة الوالد".(Faure, 2015)

ومن بين أبرز المهارات التي يقوم عليها هذا النهج:

- الإصغاء الفعّال :وهي مهارة محورية تستدعي إنصاتًا كاملًا للطفل أثناء تعبيره عن مشاعره، مع إظهار التعاطف والتقدير لهذه المشاعر، مما يعزز شعوره بالأمان الداخلي ويساهم في تنمية ثقته بنفسه.
- التعزيز الإيجابي :من خلال مكافأة السلوكيات المرغوبة بدلًا من التركيز على العقاب، يُساعد هذا الأسلوب في تشجيع الطفل على تكرار التصرفات الإيجابية. ويمكن أن يتم ذلك عبر المديح، أو منح الامتيازات، أو استخدام وسائل تقدير رمزية تعكس الاعتراف بمجهوده.
- احترام خصوصية الطفل كفرد :إذ يتم التعامل مع كل طفل بوصفه كيانًا فريدًا له مشاعره واحتياجاته وتطلعاته، مما يُسهم في دعم استقلاليته وبناء شخصية واثقة ومتزنة.

وتنعكس هذه المبادئ في نتائج ملموسة، حيث تساهم الوالدية الإيجابية في تعزيز النمو العاطفي والاجتماعي للطفل، وتُساعده على تطوير مهارات تواصل فعّالة وتنظيم مشاعره بطريقة صحية. كما أن اعتماد هذه المقاربة داخل الأسرة يؤدي إلى تحسين التفاعل بين أفرادها، ويُقلل من النزاعات، ويُقوّي الأواصر العاطفية بينهم، مما يجعل منها مقاربة تربوية ذات أثر إيجابي شامل. ويستعرض دليل الأمم المتحدة للتربية الإيجابية عناصر أساسية لتحقيق هذه العلاقة الوالدية القاعدية لكنه يركز كذلك على الطريقة التي يجب أن يعتمدها الوالدان في الاهتمام بنفسيهما كي يتمكنا من أداء واجباتهما التربوية بنجاعة. ويمكن أن نشير إلى هذه العناصر:

- العناية بمقدمي الرعاية: يركز هذا الجزء على مساعدة الآباء والأمهات على الاعتناء بصحتهم النفسية ومواجهة التوتر والضغوط النفسية، والتحلي بالصبر للتعامل بشكل صحي مع سلوكيات أبنائهم الصعبة دون اللجوء إلى العنف.
- التأديب الإيجابي: ويشمل أدوات ونصائح يمكن تطبيقها لتشجيع السلوكيات الإيجابية للأبناء والتعامل مع السلوكيات السلبية بشكل صحي وسليم.
-تعلم و تطوير المهارات : يعطي هذا الجزء اقتراحات مكثفة لأنشطة يمكن ممارستها مع الأطفال بحسب أعمارهم، تفيد في شغل وقت الأطفال فيتعلم مهارات مفيدة بالإضافة إلى الحد من السلوكيات السلبية.
- الصحة والتغذية: يقدم معلومات عن التغذية الصحية والنشاط البدني والحفاظ على الصحة النفسية. مع مصادر موثوقة للمعلومات
-دعم الأطفال معنويا: مع توطيد العلاقة بين الآباء والأبناء.

كما نشير بأن هذا المفهوم المعاصر للوالدية مستمد بنسبة كبيرة من مفهوم الدين الإسلامي للتربية والرعاية الأسرية. حيث أظهرت نتائج دراسة(فوارس، الشبول، 2022) بعنوان: "كفايات الوالدية الصالحة في التصور التربوي الإسلامي "أن الكفاءات الوالدية الصالحة (و الاختلاف يكمن فقط في توصيف الوالدية الإيجابية بالوالدية الصالحة) تُشكّل منظومة متكاملة من المهارات والقدرات والأساليب التربوية التي تمكّن الوالدين من أداء أدوارهم التربوية والدينية والأخلاقية بفعالية، وذلك في إطار المرجعية الإسلامية وتعاليم المنهج الرباني. وتنقسم هذه الكفاءات إلى عدة مجالات مترابطة، يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

-الكفاءة الدينية التربوية :

تتمثل في شعور الوالدين بالمسؤولية تجاه التنشئة الدينية لأبنائهم، من خلال غرس المبادئ الإيمانية والقيم العقدية التي تؤسس لعلاقة روحية مستقرة وسلوكيات منضبطة تعكس الالتزام الديني في الحياة اليومية.

-الكفاءة الأخلاقية القيمية :تُعدّ ركيزة أساسية في البناء التربوي السليم، إذ ترتكز على تنمية الصفات الأخلاقية الإيجابية لدى الأبناء، كالصدق، والانضباط، والتسامح، وغيرها من القيم التي تسهم في تشكيل شخصية متوازنة ومندمجة اجتماعيًا.

–

الكفاءة التربوية التخصصية :تشمل امتلاك الوالدين للمعرفة الكافية بخصائص النمو في المراحل المختلفة للطفولة، والقدرة على فهم احتياجات الأبناء النفسية والاجتماعية والمعرفية، إلى جانب الإلمام باستراتيجيات التربية الإيجابية، وأساليب التواصل الداعم، والتوجيه السلوكي السليم.

وتؤكد نتائج الدراسة أن الكفاءة الوالدية لا تقتصر على الجوانب الفطرية أو العاطفية فحسب، بل تتطلب تكوينًا معرفيًا وتربويًا ممنهجًا يقوم على أسس علمية، ويترجَم إلى ممارسات واقعية فعالة تُسهم في بناء شخصية الطفل وتوجيه سلوكه ضمن إطار من الوعي، والرعاية، والانضباط.

IV -الوالدية الإيجابية في مواجهة تيارات العالم الافتراضي:

انطلاقًا من المبادئ التي تقوم عليها الوالدية الإيجابية وامتداداتها في التصور الإسلامي ضمن مفهوم الوالدية الصالحة، يمكن تصور مجموعة من المحاور والاستراتيجيات العملية التي تسهم في التعامل الواعي والمسؤول مع تأثير وسائل التواصل الاجتماعي، وهي كما يلي:

1-التواصل المفتوح والفعّال: تُعدّ وسائل التواصل الاجتماعي من أبرز مظاهر الانفتاح الرقمي، ويشكّل غياب التواصل الفعّال داخل الأسرة أرضية خصبة لتأثيرها السلبي.من هذا المنطلق، تلعب مهارة الإصغاء الفعّال دورًا جوهريًا في فتح قنوات حوار دائمة مع الأبناء حول المحتوى الذي يتعرضون له، وتوجيههم دون إصدار أحكام أو ممارسة رقابة صارمة.

تُعزز الوالدية الصالحة هذا المبدأ من خلال الكفاءة التربوية المبنية على الفهم العميق لاحتياجات الأبناء النفسية والوجدانية، مما يُسهّل بناء الثقة والتوجيه الأخلاقي القائم على الإقناع.

2- التوجيه القيمي والأخلاقي المستند إلى المرجعية الإسلامية: تُقدّم الكفاءة الدينية التربوية إطارًا قويًا لغرس قيم الحياء، والصدق، وضبط النفس، والتفكير النقدي، مما يُمكن الطفل من التفاعل الواعي مع المحتوى الرقمي، وعدم الانسياق وراء كل ما يُعرض عليه.هذه القيم تُمكن الوالدين من تحصين الأبناء فكريًا وروحيًا، وبالتالي لا تكون الرقابة هي السبيل الوحيد، بل يكون الطفل نفسه مدركًا لما يوافق مبادئه وهويته وما لا يوافقها.

3-التربية بالقدوة ومهارات التنظيم الذاتي: تشير الوالدية الإيجابية إلى ضرورة أن يعتني الأولياء بأنفسهم، وهو ما يشمل تنظيم استخدامهم الشخص ي لوسائل التواصل الاجتماعي، حتى لا يقعوا في ازدواجية تُفقدهم السلطة الأخلاقية في التوجيه.

كما أن تعزيز احترام خصوصية الطفل كفرد يقتض ي إشراكه في وضع ضوابط زمنية أو محتوى لاستخدام الوسائط، ما يُنمي

مهاراته في الانضباط الذاتي.

4-التحفيز الإيجابي لاستخدام المحتوى الهادف: يمكن اعتماد أسلوب التعزيز الإيجابي لتشجيع الأطفال على متابعة المحتويات التعليمية أو التربوية أو الدينية النافعة، مع مشاركتهم في أنشطة بديلة تغني أوقاتهم وتُشبع حاجاتهم للترفيه والتفاعل الاجتماعي.

5-مرافقة الطفل في العالم الرقمي:كما يرافقه الوالد في الحياة الواقعية، يمكن أن تمتد هذه المرافقة إلى الفضاء الرقمي، من خلال أنشطة مشتركة (مشاهدة محتوى هادف، مناقشة منشور، تصفّح مصادر موثوقة...) بما يعزز الترابط الأسري ويجعل من الوالد مرشدًا رقميًا وليس مراقبًا فقط.

6-الصحة النفسية للأهل كشرط للاتزان التربوي:وفق دليل الأمم المتحدة للتربية الإيجابية، العناية بالذات الوالدية ضرورية لمواجهة الضغوط والتحديات التي تفرضها الحياة المعاصرة، ومنها التحدي الرقمي. بذلك فإن تعزيز الاستقرار النفس ي للأهل يمكّنهم من التعامل بصبر واتزان مع تأثيرات وسائل التواصل الاجتماعي، دون اللجوء إلى الانفعال أو التسلط أو الإهمال.

الخاتمة:

منذ لحظة تكوينها، حرص الإسلام على أن تكون الأسرة نواة صلبة تنبثق منها علاقات إنسانية سامية، تُغرس فيها القيم، وتُصان

فيها الكرامة، وتُبنى من خلالها الأجيال على أسس متينة من الإيمان والمسؤولية. ومن هذا المنطلق الراشد يفترض أن الأسرة المسلمة تؤسَّس على قواعد معينة لتكون كيانًا راسخًا في وجه التحديات، وبيئة حاضنة لكل ما يسمو بالإنسان نحو التكامل الروحي والاجتماعي. قال الله تعالى: }وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ{ (21: الروم)

ولكن في ظل التغيرات المتسارعة التي فرضها العصر الرقمي، أضحت وسائل التواصل الاجتماعي جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية، ما جعل الأسرة المسلمة تواجه تحديات تربوية وسلوكية جديدة، تهدد تماسكها القيمي واستقرارها النفس ي. وفي هذا السياق تبرز الوالدية الإيجابية والصالحة كمنهج تربوي فعّال ومتكامل، قادر على التصدي لهذه التحديات من خلال تعزيز أسس الحوار والتفاهم، وغرس القيم الدينية والأخلاقية، وبناء علاقة قائمة على الثقة والاحترام المتبادل بين الآباء والأبناء. لقد أثبتت الدراسات أن اعتماد مقاربات قائمة على الإصغاء، والتوجيه الإيجابي، والوعي العاطفي، بالإضافة إلى الرعاية المعنوية والمعرفية، يساهم بشكل مباشر في تحصين الأبناء ضد التأثيرات السلبية للفضاء الرقمي، ويمنحهم الأدوات النفسية والسلوكية اللازمة لاستخدام واعٍ ومسؤول للتكنولوجيا. كما أن استلهام هذه المقاربات من التصور الإسلامي للتربية يُضفي عليها بعدًا روحيًا وأخلاقيًا يجعلها أكثر عمقًا وفاعلية في السياق الأسري المسلم.

ويُعد هذا التوجّه متسقًا مع التوجيه الرباني في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا "(التحريم: 6)، وهو نداء يحمّل الوالدين مسؤولية وقائية وتربوية شاملة، تبدأ من غرس الوعي وتنمية الإيمان، وتشمل حماية الأبناء من كل ما يهدد استقامتهم الفكرية والسلوكية.

وعليه فإن الرهان على الوالدية الإيجابية والصالحة ليس مجرد خيار تربوي، بل ضرورة حيوية لضمان استقرار الأسرة في عالم

متغير، ولصناعة جيل متوازن، واثق، ومحصّن بالقيم والمعرفة، وقادر على التفاعل مع العصر دون التفريط في الهوية.

المصادر: القرآن الكريم المراجع:

-العقيلي، آ. ر.، الجبور، س. ف. (س.ت). التطور التقني وأثره على الأسرة المسلمة المعاصرة. الجامعة الأردنية.

-بن ماض ي، ل. (2023). التربية الوالدية الإيجابية في عصر الانفتاح .مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، 11(1)، صفحات غير محددة.

-فوارس، هـ.، الشبول، أ. (2022). كفايات الوالدية الصالحة في التصور التربوي الإسلامي .دراسات: العلوم التربوية، 49(2)، 155.172–

-اليونيسف .(2019) .دليل التربية الأسرية الإيجابية .صندوق الأمم المتحدة للطفولة.

-Centre Islamique de Genève. (2022). Réseaux sociaux et Islam. Genève, 2 avril 2022.

-Dumont, D., & Renard, F. (2004). Parentalité : Nouveau concept, nouveaux enjeux? Série de dossiers techniques. Université d'Avignon – Sciences de la santé.

-Faure, S. (2015, 31 mai). L'éducation positive, nouveau dogme parental. Libération. Groupe Le Monde éditeur. Retrieved from http://next.liberation.fr/vous/2015/05/31/l-education-positive- nouveau-dogme-parental_1320312

-Mestre, C. (1992). La parentalité positive, pour tous les enfants ! Spirale, 92.

-Saint-Jacques, M.-C., Turcotte, D., & Oubrayrie Roussel, N. (2012). L'éducation familiale à l'heure des compétences parentales. Revue internationale Enfances, Familles, Générations, (16), 1–16. Institut national de la recherche scientifique.